

قوة الأمم في قوة أفرادها

للدكتور عبد العزيز نظمي بك

هذه قضية قد صارت ثابتة في جميع الأذهان ، وهي أن صحة الشعب وسلامة أجسام أفرادها ، وبراءتها من الأمراض والعلل ، هي سر قوته وينبوع سعادته ، فالأجسام السليمة هي التي تستطيع أن تعمل ، وأن تزرع وتصنع وتحمل السلاح للدود عن الوطن ، والأجسام السليمة هي التي تحوى عقولا سليمة تفكر في خير المجتمع وتبكر الوسائل لترقيته وإسعاده .

ومن الحق علينا نحن المصريين أن نسأل أنفسنا هل أكثرنا يتمتعون حقا بصحة جيدة تمكنهم من تأدية واجباتهم نحو أنفسهم ونحو الوطن على الوجه الأكمل ؟ وهل نحن وحكومتنا نعنى العناية اللازمة بصحة سواد الشعب ، ومعالجة المرضى معالجة تضمن لهم السلامة وتنفى خطر عدوهم لسواهم ؟

إننا إذا رجعنا إلى الإحصاءات الرسمية الخاصة بأنواع الأمراض المتوطنة في مصر ، كالبلهارسيا والانكلستوما والملاريا والسل والأنيميا وغيرها ، وعرفنا مبلغ فتكها بأبناء القرى وهم السواد الأعظم من الشعب ورأينا أرقام الوفيات عموما ووفيات الأطفال خصوصا ، وانقمنا إلى وفرة عدد من يثبت الكشف الطبي عدم صلاحيتهم للخدمة العسكرية ، وراجعنا تقارير أطباء المدارس على اختلاف درجاتها ، وما تثبته هذه التقارير من سوء الحالة الصحية عند الألوف من الأطفال والشبان .

ثم إذا زرنا مساكن العمال والصناع في المدن أو القرى ، ورأينا ما هي عليه من رداءة وما تجلب على ساكنيها من أمراض .

إذا رأينا كل أولئك ، لم نملك مع شديد الأسف أن نجيب على تساؤلنا جوابا حسنا ، ولم نستطع غير الاعتراف بسوء الحال ، وبأن الكثرة الغالبة من هذا الشعب لا تتمتع بالصحة القوية التي تمكنها من تأدية الواجب الخاص أو العام على أحسن حال ، وأن الحكومة والشعب كليهما ، لم يقوموا نحو الصحة العامة بكل ما يجب لها من خدمة وصيانة .

هذه حقيقة مؤلمة ، لكن لا مناص من تقريرها ، ولا مناص من الإلحاح في كشفها وعرضها على الأنظار ، ومع أن هناك تحسينات صحية ومنشآت اجتماعية في مختلف نواحي

القطر ، فلا يزال أكثرنا ، وعلى الأخص الطبقة المشتغلة بالفلاحة ، في سقم وفي ضعف ، ولم تصل بنا هذه التحسينات ولا هذه المنشآت إلى السلامة المرجوة ، ولا إلى الحد اللائق ببلاد كجلادنا ، لها مكانة كريمة بين الأمم ولديها كل عناصر النهوض والسلامة والرفعة ، في خصوبة تربتها ، واعتدال جوها ، وكرم تقاليدها ، وإحاطة دينها الخفيف بكل ما تحتاج إليه من مقومات دنياها ، من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر وحض على البر ونصح بالنظافة والتطهر جسما وروحا .

إن الأمراض المتوطنة التي ضربت منها أمثالا ، لا تزال منتشرة انتشارا مخيفا بين الملايين من الفلاحين الفقراء ، تهدأ أجسامهم وتنتهي إلى حصد أرواح العدد الكبير منهم ، بعد عذاب أليم ، وأولئك هم الذين يفرجون لنا من بطن الأرض أعظم الخسائر وأحسن الثمرات ، ويعملون في وهج الشمس وفي زمهرير الشتاء ، وما هذه الأسقام الفاشية فيهم ، ولا ذلك الموت المحيط بهم وبأطفالهم الصغار الضعاف ، إلا نتيجة من نتائج الفقر والجهل وعدم الدراية بوسائل تربية الأطفال وصياتهم ، ولا بوسائل معالجة الكبار ووقاية أجسامهم . وقد ثبت من البحوث الطبية والاجتماعية في السنوات الأخيرة أن أكثر تلاميذ المكاتب الإلزامية وهم يعدون بعشرات الآلاف يتوجهون إلى مكاتبهم جياعا أو يكادون ، وذلك لعجز أهلهم عن تغذيتهم بالغذاء الأدنى المقرر لأمثالهم ، فيتلقون في المكاتب قشورا من التعليم مع أنهم أكثر حاجة إلى غذاء يقوى أجسامهم ويصلح عقولهم وإلى عناية صحية تمنع عنهم أخطار الأمراض التي تهدد حياتهم بسبب قلة غذائهم وموء حالة مساكنهم التي ترتفع فيها الجراثيم لطوبتها وقذارتها ، وتعلم أيضا علم اليقين أن المستشفيات والمصحات والسجون والملاجئ مع كثرة عددها تضيق بقاصديها الذين فتكت بهم الأمراض من جراء الفقر والبؤس والمسكرات والمخدرات المختلفة الألوان ، فأصبحوا ضعفاء الجسم والعقل ، وكثيرون منهم أصبحوا من المجرمين الثائرين على المجتمع ، الذين يعيشون فسادا في البلاد ويبذرون حولهم بذور الأمراض الجسمية والعقلية .

لست أنكر الجهود الحكومية والشعبية الطبية التي بذلت ولا تزال تبذل لتحسين الصحة العامة وإصلاح الحياة الاجتماعية ، ولا شك أن هذه الجهود قد أتت بنتائج تدعو إلى الارتياح ولكنها مع ذلك لا تزال قليلة بجانب ما تحتاج إليه هذه البلاد الزائرة بالملايين من النفوس ، ويجانب ما تعانيه هذه الملايين من علل جسمية واجتماعية .

إذن فلا بد من مضاعفة هذه الجهود ومن تنسيقها وتنظيمها ، ومن أن يتعاون القائمون بها من الرجال الرسميين المكلفين ومن المتطوعين للخدمة الاجتماعية ، حتى إذا اجتمعت جهودهم وتضافرت أيديهم ارتفعنا في وقت قصير بمستوانا الصحي والخلقي والاجتماعي ،

ونفينا عن شعبنا هذه العلل القديمة المتأصلة فضاءعنا بذلك إنتاجنا المادى والأدبى إذ كل ضعف فى القوى الجسمية والروحية يؤدى حتما إلى ضعف الانتاج فى سائر النواحي ، والمسال والجهل الذى نبذله فى سبيل الإصلاح والتقوية ، هو — منها كثر — أيسر وأضال مما نخسره بسبب ضعف الأجسام والعقول .

ونحن الآن فى عصر التسابق والتنافس بين الأمم ، فلا خير فى أمة تفتقر عن تقوية نفسها ، وعن تثبيت دعائم الحياة فيها ، مادية ومعنوية ، إن مثل هذه الأمة لا تملك من القوة ماردة به عن نفسها عدوان المعتدين ، والأمثلة حاضرة أمام عيوننا ، فى الغرب ، وفى الشرق ، حيث لا احترام إلا للقوة ، قوة الأجسام ، والعقول ، والأموال ، وحيث لا توجد القوة لا تنفع النظريات ، ولا تغنى الصداقات ولا المعاهدات :

والقوة ، أو القدرة على حفظ الكيان وصيانة الاستقلال واكتساب الاحترام بين الأمم إنما تتوفر بالعمل المستمر لتحسين الحياة العامة ، جسميا ومعنويا كما قدمنا ، ولهذا أثره فى زيادة عدد السكان وتوفر أسباب الرفاهية لأكثرهم ، واستغناء البلاد تدريجيا عن استيراد حاجاتها من الخارج .

الآن أوضاعنا بقدر المستطاع ، خطورة الأمراض الجسمية والعلل الاجتماعية التى تشكو أكثرية الأمة منها وما نخشاه من نتائجها الوخيمة على البلاد إذا لم نسرع بمضاعفة الجهود لاتخاذ أحسن الوسائل وأنجعها لعلاج الآفات ومقاومة انتشارها .

وبقى أن نستعرض بإيجاز ، أهم الوسائل التى يجب اتباعها للوصول الى تحقيق ما نصبو اليه من اصلاحات صحية واجتماعية على أساس متين ، مسترشدين بما اثبتت نجاحه تجارب الأمم المتقدمة التى سبقتنا بمراحل كبيرة فى هذا الطريق بعد تعديلها بما يناسب مركز بلادنا وعادات أهلها .

ومما لا ريب فيه أن من واجبا أن نجعل اصلاح الطفل ، صحيا واجتماعيا ، أساسا لجميع ما نبتغيه من اصلاح فى شتى النواحي ، فان أطفال اليوم كما نعلم هم رجال الغد ، وهم الجيل الناشئ الذى تبني الأمة عليه بعد الله آمالها الكبار ، وها هى ذى مراحل الاصلاح تذكرها بحسب أدوارها الطبيعية .

المرحلة الأولى — وامتبر أهم المراحل الاصلاحية بل الأساس لما جميعا لأنها ترمى الى الاقلال من عدد الأطفال الذين يولدون ضعاف الجسم أو العقل أو مصابين بجاهات غير قابلة للشفاء بحكم الوراثية فهذه المرحلة هى "تحسين النسل" والمراد بها وقاية الأمة من كثير من الآفات والعلل ونعلم جميعا "أن الوقاية خير من العلاج" .

المرحلة الثانية — العناية بالأطفال منذ وجودهم أجنة في بطون أمهاتهم الى نهاية الطفولة الأولى وذلك بتعميم مرا كز رعاية الطفل وارشاد الأمهات والمرضعات .

المرحلة الثالثة — العناية بالأطفال في الطفولة الثانية أى من سن ٣ سنوات الى ١٠ سنوات وذلك بتعميم وتحسين رياض الأطفال والمكاتب الالزامية .

المرحلة الرابعة — العناية بالأطفال من سن العاشرة الى سن العشرين ، والواجب الأول فى ذلك يقع على وزارة المعارف بالدقة فى الكشف الطبى وبتشجيع وتعميم الرياضة البدنية .

المرحلة الخامسة — العناية بالشبان ذكورا وإناثا ، من الوجهة الصحية والاجتماعية وذلك باتخاذ الاجراءات المتنوعة التى تيسر الزواج ، وبمقاومة البطالة ، وإعانة ذوى الأولاد الكثيرين الخ . . .

المرحلة السادسة — وهى الختامية وتبادل فى الأهمية مرحلة تحسين النسل ، وأعنى بها تحسين حال الفلاح من جميع الوجوه وهذا موضوع حيوى كثر البحث فيه ولذا لا أترضى للكلام عليه ما

الدكتور عبد العزيز نظمى

وصية

— أوصى عبد الله بن الحسن ابنه فقال :

يا بنى : إني مؤيد حق الله فى تأديبك ، فأد حق الله فى الاستماع منى : كف الأذى ، واستمع على الكلام بطول الفكر فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك الى الكلام ، فان للقول ساعات يضرب فيها الخطأ ولا ينفع الصواب ، واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحا كما تحذر مشورة العاقل اذا كان غاشا .

واعلم يا بنى أن رأيك اذا احتجت اليه وجدته نائما وجدت هواك يقظان ، فلما كان أن تستبى برأيك ، فانه حينئذ هواك ، ولا تفعل فعلا إلا وأنت على يقين أن عاقبته لاترديك وأن نتيجته لا تنجى عليك .